الاكاذيب والحجج الملفقة التي ساقتها الصحافة الايطالية لاحتلال ايطاليا لليبيا عام 1911

د. علي نشمي حميدي
الجامعة المستنصرية/ كلية الاداب

المقدمة

كان هذا البحث ثمرة جهد علمي مضني بذلته في اثناء وجودي في ليبيا للتدريس هناك بين الاعوام 1997–2000 اذ كنت احسب ان الجامعات الليبية تعتمد الترقية العلمية استنادا على البحوث العلمية كما هو الحال في الجامعات العراقية، لذا فكرت بكتابة مجموعة من البحوث تتماشى مع توجه الجامعات العلمي في الاهتمام بالتاريخ الليبي الحديث وهو اختصاصي العلمي والتركيز على الاحتلال الايطالي لليبيا.

يوجد في طرابلس مركز بحثي متطور هو مركز (جهاد الليبين) اذ توجد في هذا المركز معلومات ومصادر كثيرة جدا تخص الاحتلال الايطالي لليبيا واثناء البحث هناك والذي كان يجري يوميا كون احد اصدقائي يعمل فيه، اطلعت على بعض الصحف الايطالية التي لم تكن مترجمة الى العربية ولكن هذه الصحف مشار اليها اشارات سريعة جدا وبذلك جمعت بعض المصادر الايطالية من هذا المركز وفي اثناء تواجدي في تونس عام 1998 لقضاء العطلة الصيفية تعرفت على صديق ايطالي شاءت الصدفة ان يكون صحفيا و في اثناء الحديث عن مشروع البحث الذي اعمل عليه فاجأني بان هنالك ارشيفا طويلا عريضا في روما للصحف الايطالية ومبوب حسب المواضيع حيث يوجد عنوان هو الاحتلال الايطالي الى ليبيا، هنا وجدت ضالتي ولذلك قام هذا الصديق الرائع (سلفي تورتي) بارسال عشرات الصحف الايطالية المستنسخة التي تخص الاحتلال الايطالي لليبيا، والاعظم من ذلك قام بترجمة الكثير منها الى الانكليزية وعند اطلاعي على هذه المصادر وجدت فيها مادة هائلة جدا تصلح لكتابة عشرات البحوث العلمية، بل انها تصلح لرسالة دكتورا قيمة.

في اثناء جمعي وتبويبي لهذه المصادر سمعت من الاخوان الليبيين ان الترقية العلمية لا تعتمد على البحوث بل على عدد سنوات الخدمة ولهذا لم اقدم هذه البحوث على الرغم من اتمامي الجزء الاكبر منها.

لقد وجدت في هذه الوثائق معلومات كثيرة عن اثر التوازن الدولي في اوربا في دفع ايطاليا لاحتلال ليبيا وقد تم استغلال التوازن الدولي بشكل عظيم وفعال.

ان الظروف الموضوعية والتاريخية والسياسية والاقتصادية تظافرت بشكل جدي لخلق شعور طافح وعارم في ايطاليا من اجل احتلال ليبيا.

ان الحجج التي ساقتها الصحافة الايطالية في دفع الحكومة والشارع الايطاليين لاحتلال ليبيا كانت تحتاج الى الكثير الكثير من الاكاذيب والمغالطات التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية لان كل ما بنته الصحافة الايطالية استند على اسس غير صحيحة وملفقة وفي احسن الاحوال مبالغ فيها.

لذلك نراها تتحدث عن جملة من الاكاذيب والاساطير في ان الليبيين ينتظرون قدوم الايطاليين لتحريرهم من الاتراك وان الاتراك هناك أناس مكروهون ومنبوذون.

كما ان الصحافة الايطالية خلقت اكاذيب مبنية على رسائل ملفقة وغير حقيقية ادعت تبادلها بين ايطاليين زاروا ليبيا واخرين في ايطاليا تؤكد على عظمة ليبيا وامكانياتها وقدراتها.

لم يكن التاريخ بعيدا عن تلك الاكاذيب التي ساقتها الصحافة الايطالية فركزت على حكم الرومان وما فعلوه في ليبيا قبل الفي سنة وشرعية رجوع ليبيا الى ايطاليا كونها جزء تاريخي من الارض الايطالية وبذلك اخذت تبالغ وتلفق وتعطي الاسانيد المرفوضة تاريخيا في الحق الايطالي في ليبيا.

استغلت الصحافة الايطالية التاريخ في كل اتجاهاته السلبي والايجابي حيث اكدت على ضرورة الوقوف مع التوسع الايطالي حتى وان كان يتعارض مع بعض القيم كي لا تحصل الانتكاسات التاريخية التي وقع فيها الايطاليون في الحبشة ولهذا كان للدرس السلبي من التاريخ دافع لاستغلاله من قبل الصحافة الايطالية في شحذ الهمم لاحتلال ليبيا.

كذبت الصحافة الايطالية كثيرا وبالغت في هذا الكذب اكثر في قضية سهولة الحرب الايطالية لاحتلال ليبيا فأكدت انها نزهة عسكرية لا خسائر فيها.

كان هنالك تبادل ادوار عند الصحافة الايطالية ولكن هذا التبادل المتناقض في الظاهر يخدم النتيجة النهائية في شحذ الشارع الايطالي والحكومة الايطالية لاحتلال ليبيا، اذ كانت بعض الصحف تؤكد على حب الليبيين للاتراك لهدف معروف وكانت هنالك صحف اخرى تتحدث عن قتل الليبيين للايطاليين هناك وضرورة حماية الايطاليين في ليبيا.

خلقت الصحافة الايطالية اكاذيب كثيرة لاحداث مُختلقة تعرض لها الايطاليين في ليبيا، او انها اوجدت نتائج غير صحيحة لاحداث وقعت في ليبيا لخدمة الهدف الاستعماري المنشود.

كذبت الصحافة الايطالية كثيرا في ضعف الاتراك وسهولة القضاء عليهم في ليبيا وكذبت في معنوياتهم المتدنية التي لا تستطيع ابدا ان تقاوم الايطاليين.

هذه الاكاذيب كانت محورا مهما من المحاور الكثيرة التي استندت عليها الصحافة الايطالية في احتلال ايطاليا لليبيا.

أكذوبة ترحيب العرب بالايطاليين

لقد لفقت الصحافة الايطالية الكثير من الاكاذيب من اجل إقناع الشارع الايطالي والضغط على حكومتهم لاحتلال ليبيا وقد كانت اكذوبه أن العرب يرحبون بالايطاليين من ضمن تلك الأكاذيب.

قالت الصحافة ان العرب الليبيين سيرحبون بالايطاليين في حال وصولهم إلى ليبيا فهم يكرهون الاتراك ويحبون الايطاليين منذ زمن بعيد .[1]

ان كراهية الليبيين للأتراك كبيرة جدا بل هي حقد دفين منذ قرون عديدة وسيشهد الجنود الايطاليون حرارة الترحاب التي سيلاقيهم بها العرب الليبيون لانهم سيخلصونهم من السيطرة التركية فهو هدف نبيل لدينا.[2]

ان العرب في ليبيا أغلبهم مع ايطاليا أما الباقي فهم لن يقاوموا القوات الايطالية القادمة إلى أرضهم لإخراج الاتراك منها فقد عانوا كثيرا من العثمانيين ويكنون لنا المشاعر الجيدة.[3]

1. Giornale, Lastampa, Turinto,31,maggio,1,giugno,1911
2. Giornale, d'Italia, Roma,28 agos,1911
3. Giornale La Regione,Roma,2,3,settembre,1911

ان المشاكل بين ايطاليا وتركيا لم تترك أثرا لدى المواطن الليبي أي ان ما تقوم به ايطاليا ضد الاتراك لا يجد تعارضا له في داخل ليبيا فان مشاعرهم قريبة منا وبعيده عنهم [4].

أن الشعب الليبي شعب مرتبط برجال الدين وخصوصا أولئك الصوفية من الشيوخ فهؤلاء الذين يقودون الشعب الليبي وكما هو معروف فان هؤلاء القادة الصوفية من الشيوخ يحبون ايطاليا ويملكون شعورا طيبا متعاونا مع الايطاليين الموجودين في ليبيا وبذلك سوف لن يقف هؤلاء الشيوخ ضدنا بل سيقفون معنا لو ذهبنا إلى الحرب.[5]

ان ليبيا هي ارض ايطالية من النواحي كافة وستشاهدون انها في بضع سنوات من وجودنا هناك ستصبح ايطاليه بصبغتها.[6]

ان العرب في ليبيا سيهتفون بأعلى أصواتهم في حال رؤيتهم سفننا الحربية تقترب من ليبيا مرحبين و سيستقبلوننا باللبن والتمر والزغاريد. [7]

أن قناعتنا نحن الايطاليين أن الليبيين سيستضيفوننا ويرحبون بحضارتنا وقد أكد الايطاليون الموجودون في ليبيا أن الليبيين معنا ويحبوننا وهم ينتظروننا بفارغ الصبر.[7]

أن العرب الليبيين متلهفون لوصول الايطاليين حيث سيكتنفوهم بالحفاوة والتكريم رغبة منهم في تحقيق أمنيتهم في الخلاص من الاتراك.[8]

أن الاتراك متيقنون أن العرب سيرحبون بالايطاليين ويقفون الى جانبهم وبذلك فهم واثقون ثقة تامة أن الايطاليين سينتصرون وان الاتراك سيهربون عندما يشاهدون العرب يقفون مع الايطاليين.[9]

ان سكان المدن الليبية يرحبون ويحبون الايطاليين ويتمنون أن يعيشوا إلى جانبهم فهم سيكونون متعاونين ومتساهلين جدا في وجود الايطاليين إلى جانبهم في المدن الليبية.[10]

كانت هذه العناوين والمقالات التي نشرتها الصحف الايطالية قبل ايام معدودة من الاحتلال الايطالي لليبيا وهي معلومات وأكاذيب استعراضية إعلامية القصد منها إظهار

4. Giornale ILcorriere della sera, Milano,22,23,settembre,1911
5. Giornale Il Mattino, Napoli,22,settembre,1911
6. Giornale Il Mattino, Napoli,25,settembre,1911
7. Giornale, d'Italia, Roma,25, settembre,1911

1Giornale ILcorriere della sera, Milano,27,settembre,1911
(8) Ibid.
(9) Giornale ILcorriere della sera, Milano,28,settembre,1911
(10) Giornale d'Sicilia, Plermo,27,settmbre,1911

الحملة الايطالية على ليبيا وكأنها نزهه عسكرية أو إنها ضرورة وحاجة يتمناها وينتظرها المواطن الليبي ليرتمي في احضان الحضارة والثقافة الايطالية المزعومة.

لقد نجحت هذه الصحف في صقل الرأي العام الايطالي ليطالب بـــالحرب ويؤيـــد الاحتلال على بسبب الدعاية التي نسجتها تلك الصحف وبالمقابل فأن هذه الصحف تعلـــم علم اليقين ان نجاحها في ارسال الحملة لن يؤثر عليه فشلها فيما بعد فالجيوش لو تحركت وتورطت لايمكن ايقافها وبذلك يكون اما النصر واما الموت والصحافة الايطاليـــة تعلـــم بذلك لذا سعت لتخرج الاساطيل وليحصل ما يحصل بعدها فالمتعصون القوميون تسيطر عليهم شعارات مريضة يستسهلون كل شي من اجل هذه الشعارات الجوفاء.

اكذوبة الرسائل المفبركة

كما قلنا ان الصحافة استخدمت وسائل شتى من أجل اقناع الشارع الايطالي بأهمية ليبيا وعظمتها وثرواتها وأحقية الايطاليين بها وسهولة الحصول عليها.

من ضمن هذه الرسائل المتبادلة في نهاية القرن التاسع عشر والتـــي مفادهـــا أن الأرض الليبية من أخصب الأراضي ومياهها وفيرة جدا وهي تزخر بالمنـــاجم المعدنيـــة المتنوعة لذا فأن احتلالها سيحقق الرخاء لايطاليا وليبيا في آن واحد.[11]

ان اظهار هذه الرسائل على انها شيء مقدس لا يقبل النقاش بين شخصين مهمين وعظيمين وهي في الواقع رسالة مفبركة تماما والقصد منها تضليل الشـــارع الايطـــالي واقناعه بعظمة ليبيا وضرورة التوجه لاحتلالها لقد تعاطت اغلب الصحف الايطالية مـــع هذا الزيف والتضليل ولكن بعد انتهاء الحرب واحتلال ليبيا اخذ الناس يسألون الصـــحف عما ذكرته سابقا فلم يجدوا الجنة كما قالت الصحف بل وجدوا صحراء قاحلـــة فـــردت الصحف ان هذه الرسائل كانت مفبركة وكاذبة كان القصد منها شحذ الهمم مـــن أجـــل احتلال ليبيا فهي اكذوبه كان القصد منها أهداف وطنية.[12]

وحاولت الصحف أن تنسب لبطل رسائلها الملفقة الذكاء والحكمة فقالت: ان باعث الرسالة هو رجل حاذق فيلسوف مفكر كي تعطي لكلامه أهميـــة وهـــي كلمـــات كاذبـــة ملفقة[13] القصد منها تضليل الناس.[3]

---

(11) Giornale La Regione,Roma 2,3,settembre,1911
(12) Magazeno Lideanazonale,Roma 21,settembre,1911
3 Giornale, Grandi L' ltalia, Roma,17,settembre,1911
4 Giornale ILcorriere della sera, Milano,17,sehembre,1911

لقد تكلمت الصحف الايطالية على مؤلفات لا وجود لها فادعت أن هذه الكتب التي تتحدث عن عظمة ليبيا وثرواتها قد قام بتأليفها أعظم الكتاب في العالم المعروف عنهم دقة المعلومة وعلميتها فان كل ما قالوه عن ليبيا في هذه الكتب هو عين الصواب الذي نجهله نحن.[14]

اتضح أن هذه الكتب وهذه الشخصيات التي تكلمت عنها الصحف ما هي ألا كتب ملفقة وشخصيات لا علاقة لها بذلك وقد قصدت الصحف من وراء ذلك الدعاية من اجل الذهاب واحتلال ليبيا وهي اعمال لا اخلاقية واقل ما يقال عنها انها كاذبة[1] .[15]

الاكاذيب والحجج التاريخية

حاولت الصحافة الايطالية استغلال التاريخ من اجل دعم نظريتها في احتلال ليبيا حيث أدعت ان ليبيا حق تأريخي لايمكن الحياد عنه فهي كانت تابعة الى صقلية في عصر النهضة بل انها كانت ارضا مرتبطة بالتاج الصقلي وقد اخذها الاتراك بطريقة غير شرعية كما انها ظلت تابعة اسميا للتاج الصقلي حتى القرن الثامن عشر[16].

ان ليبيا تمثل حقا تاريخيا واحتلالها هو اعادة التاريخ الى نصابه بعد حقبة طويلة من الاستلاب[17].

ان احتلال ليبيا هو نتيجة حتمية للحملات السابقة التي قادها الرومان ومن ثم روجر ملك صقلية فهي ما انفكت خاضعة لايطاليا فأن مكانها الطبيعي والتاريخي والحقيقي هو مع ايطاليا[18].

ان المدن الايطالية في عصر النهضة كانت تعتبر ليبيا مستودع الحبوب لديها الذي تاخذ منها حاجتها فسفن البندقية وجنوا دائمة التواصل مع ليبيا في عصر النهضة[19] كما وان الصحف الايطالية كانت تستغل المناسبات السنوية المفرحة والمحزنة من اجل شحذ الروح الوطنية الايطالية نحو الحرب.

فقد كان هناك احتفال سنوي في ذكرى انتصار الاحباش على الايطاليين في معركة عدوى فقد اكدت هذه الصحف ان سبب خسارة الايطاليين كانت لان بعض

---

[15] Magazeno Lideanazonale,Roma,21,settembre,1911
[16] Magazeno Lideanazonale,Roma,21,settembre,1911
[17] Giornale ILcorriere della sera, Milano, 24, settember, 1911.
[18] Giornale d'Sicilia, Plermo,24,settembre,1911
[19] Giornale ILcorriere della sera, Milano,27 settembre,1911

الايطاليين لم يؤيدوا ولم يقفوا مع دولتهم في حربها ضد الاحباش فقد كان هؤلاء المتخاذلون سببا في انتصار الاحباش ولو كانوا وطنيون لما حصلت الكارثة لهذا فأن الوطنية الحقة هي الخلاص والتخلص من العار الذي حصل في عدوى وذلك باحتلال ليبيا[20].

واكدت الصحف المؤيدة للحرب ان بقاء شعور الهزيمة في نفوس الايطاليين سيجعلهم عاجزين عن تحقيق اهدافهم المستقبلية فالوطن ينادي الجميع بغسل العار وتقوية الامل الايطالي الجديد من خلال الذهاب الان وليس غدا لاحتلال ليبيا[21].

نجحت الصحف الايطالية في استغلال التاريخ استغلالا جيدا من اجل خلق الارضية الجماهيرية المساندة للحرب والتي ضغطت من جانبها على حكومتها لاحتلال ليبيا.

كما وان الصحافة الايطالية عادت الى التاريخ لتؤكد ان التدهور الاقتصادي والثقافي في ليبيا كان مرده انقطاعها عن اصلها الروماني الذي كانت فيه اغنى ارض في العالم فهي سلة القمع الروماني وهي مستودع الزيت الروماني وغيرها من الادعاءات الكاذبة[22]

وصل الزيف الصحفي الى الحد الى حد تجاوز المنطق والعقل حيث اعتبروا الماضي هو المستقبل فقالوا ان ليبيا جنة على الارض كما وصفها المؤرخون الرومان والاغريق قبل الفي سنة حيث قالوا كما تدعي هذه الصحف انها ارض خضراء كلها نخيل وزيتون ومحاصيلها على طول السنة لذلك يجب ان نذهب الى هذه الجنة[23].

ان استغلال التاريخ كان مزريا من قبل الصحافة الايطالية فقد جعلت الماضي والحاضر موظفا لخلق قناعة لدى الايطاليين بأن ليبيا هي جنتهم الموعودة وكذلك ادعت الصحافة الايطالية ان في التاريخ درس بليغ للايطاليين والليبين فقد اثبت التاريخ ان العرب المسلمين والاتراك لم يضيفوا شيئا لليبيا بل اخذوا كل شي منها وتركوها ارضا يبابا اما الرومان فقد اعطوها كل شيء[24].

---

[20] Magazeno Lideanazonale,Roma,l,marzo,1011
[21] Magazeno Lideanazonale,Roma,8,marzo,1911
[22] Giornale ILcorriere della sera, Milano,28,settembre,1911;30,gennaio,1912
[23] L,ideainterd,,llalia,19 marzo,1911
[24] Giornale ILcorriere della sera, Milano,30,gennaio,1912

ولا يعرف القارئ كيف يكون الحاضر هو التاريخ وتارة يقولون بأن ليبيا كانت جنة والعرب حولوها الى ارض يباب ولكن هذا التخبط غيب في خضم الحملة الاعلامية الكبرى التي كانت تدق وطبول الحرب وتخدع البصائر بموارد ليبيا بضمن اجواء الازمة الاقتصادية والسياسية والنفسية التي كان يعيشها المواطن الايطالي في بداية القرن العشرين وبذلك لم يستطع هذا المواطن ملاحظة هذا التخبط والتناقض.

اكذوبة سهولة الحرب

لقد ارتكزت الحملة الصحفية الايطالية لشحذ الشعب الايطالي نحو ليبيا على جملة من الاكاذيب منها سهولة الحرب فقد وصفت الصحف الايطالية حملة احتلال ليبيا بانها نزهة عسكرية يسيرة وسريعة وستحسم بشكل خاطف و لن تكلف ايطاليا قوات هائلة[25].

وان ليبيا ستاخذ طابعا ايطاليا في حال وصول القوات الايطالية حيث سيتحول الليبيون الى طليان من دون حرب ومن دون ضغط و من دون قهر[26].

ان الحرب في ليبيا محسومة لصالح ايطاليا قبل ان تبدا لان الاتراك وعلى الرغم من علمهم باستعدادنا للحملة لم يرسلوا جنديا واحدا اضافيا الى ليبيا لانهم يعرفون نهاية المعركة وبذلك لايريدون ان يرفعوا قتلاهم الى اعداد اكبر وهم راضون بخسائرهم المحتمة هناك[27].

ان تركيا قد اعلنت استسلامها قبل وصول قواتنا الى هناك فاليأس والاستسلام قد سيطر عليها قبل ان نطلق قذيفة واحدة[28].

ان احتلالنا لليبيا سوف لن يكلف الخزينة الايطالية ليرة واحدة ولن نقدم قتيلا واحدا فهي ستسقط بايدينا لامحالة ومن دون قتال[29].

ان الحكومة الايطالية واثقة من ان الحرب قصيرة وسهلة وسوف لن يكون عدد القوات في هذه الحملة اكثر من 30 الف جندي فقط[30].

يتضح لنا ومن خلال مقالات الصحف التي اخذنا نماذج قليلة منها مدى الكذب والاستخفاف بعملية احتلال ليبيا بحيث صورتها الصحافة الايطالية وكانها عملية بلا

---

[25] Magazeno Lideanazonale,Roma,5, Aprile,1911
[26] Giornale Il Mattino, Napoli, 25, settembre,1911.
[27] Giornale ILcorriere della sera, Milano,25,settembre,1911
[28] Giornale, d'Italia, Roma,25,sattembre,1911
[29] Giornale ILcorriere della sera, Milano,27,settembre,1911
[30] Giornale ILcorriere della sera, Milano, 28, settembre, 1911.

خسائر وبلا مصروفات وبلا مخاطر ولكن نتائجها عظيمة هائلة على مستقبل الشعب والوطن الايطاليين، كانما لا حياة للايطاليين الا بأحتلال ليبيا ولا أمل في مستقبلهم الا هناك وبذلك تكونت صورة زائفه ولكنها مغرية في عقول الشعب الايطالي وهي ان مستقبلنا ورخائنا وسعادتنا بأيدينا وسنأخذه بلا جهد وبلا تضحيات وبلا مخاطر بمحض الذهاب الى ليبيا وهذه هي الصورة التي زرعتها الصحافة الايطالية في عقول الناس وهذا الشيء يؤكد مدى ذكاء وشراسة هذه الصحافة ومدى قوة الدعاية المستخدمة وايضا يؤكد مدى انحطاط وتفاهة وكذب هذه الصحافة الى الحد الذي تلاعبت بأحلام الشعب ومقدراته بهكذا طريقة تافهه غير محسوبه العواقب فالمهم هو ارضاء النزعه الفاشية التعصبية الايطالية الناتجة عن الفشل الايطالي السياسي والازمات الاقتصادية والاجتماعية والحياتية التي كانت تعيشها ايطاليا في بداية القرن العشرين.

اكاذيب وحجج عرقلة الأتراك واعتداءاتهم على الايطاليين

حاولت الصحف الايطاليةان تستغل صغائر الأمور وبعض الحوادث العابرة والكاذبة لخلق صورة لدى المواطن الايطالي بأن العثمانيين الاتراك والعرب الليبيين يعرقلون النشاط الاقتصادي الايطالي في ليبيا.

أن أي مشروع اقتصادي تقوم به شركات غير الشركات الوطنية الليبية فأن هذا المشروع يحتاج الى موافقات واستثناءات ومعاملات إدارية تختلف عن تلك التي تحتاجها الشركات الوطنية الليبية وحينما حاولت بعض الشركات الايطالية أن تنشي لها بعض المحطات الاستطلاعية للبحث عن المعادن داخل ليبيا كانت تواجه تعاملات روتينيه معتادة هذه الأمور فكانت الصحافة الايطالية تصورهذه التعاملات وكأنها سياسة ثابتة من قبل الاتراك والمواطنين الليبيين ضد النشاط الاقتصادي الايطالي وهي لا تعدو أن تكون طلب تصريح او تأجيل بناء حتى اكتمال الإجراءات الإدارية ولكن الصحافة أظهرتها على انها اعتداءات تخريبية وتجاوزات جسدية.[31]

ان الصحافة الايطالية لم تكن موضوعية في نظرتها لاي حادثة تخص الايطاليين في ليبيا فأي مشاجرة تحصل بين ليبي وايطالي تظهرها الصحافة الايطالية على أنها كراهية عربية تغذيها السياسة التركية المعادية لايطاليا وتبدأ هذه الصحف ترتكز على جمل معينة أرسلها القناصل الايطاليين في ليبيا إلى حكومتهم قد يكون في هذه الجمل

[31] Giornale, Lastampa, Turinto, 11 giugno,1911

عبارات تغذي التشنج القومي والتعصب الديني وغيرها من العبارات التي تكثر في تقارير القناصل لوزاراتهم ولكن الصحافة تركز عليها وتجعلها تفسيرا لحدث بسيط وقع في ليبيا من اجل إثارة الشعور القومي الايطالي المتعصب كي تنتقم للكرامة القومية المهدورة في ليبيا.

ان الحكومة التركية اقتنعت ومنذ بداية القرن العشرين ان نوايا ايطاليا هي احتلال ليبيا وأيقنت أيضا أن هذا الاحتلال سيبدأ من خلال التوغل الاقتصادي هناك فمن البديهي ان تتخذ الحكومة العثمانية إجراءات احترازية تحد من التوسع الاقتصادي الايطالي في ليبيا ولكن على الرغم من ذلك فان النشاط الايطالي في ليبيا كان كبيرا قبل الاحتلال مما يعني أن الإجراءات العثمانية لم تكن مجدية ولم تكن صارمة وفعالة ودليل ذلك تعاظم النشاط الاقتصادي الايطالي حتى يوم الاحتلال.

كانت الصحافة الايطالية ومنذ بداية القرن العشرين تهول إحداثا بسيطة فعندما يطلب الشرطي العثماني من القنصل الايطالي الذي ينزل من الباخرة جواز سفره وهويته وقد يفتش حقيبته جهلا من ذلك الشرطي بالتعاملات الدبلوماسية فان الصحافة الايطالية تقدم ذلك الحدث وكأنه عدم اعتراف الحكومة العثمانية ضد الدولة الايطالية وتزيد في ذلك بان هذا الإجراء يعني قطع العلاقة الدبلوماسية العثمانية مع ايطاليا وتسهب على أساس هذا الحدث بأنه أعلان حرب يجب الرد عليه باحتلال ليبيا.[32]

أن مثل هذا الحدث يعطي صورة عن طبيعة ممارسات الصحافة الايطالية وكيفية استغلالها للأخبار والإحداث و تقديمها للناس وتعطي صورة واضحة أيضا عن الأثر الذي تتركه هذه الإخبار في نفوس الايطاليين المتعصبين.

لقد اختلفت إحداث كثيرة صاغتها الصحافة الايطالية وادعت حدوثها للايطاليين في ليبيا مثل اعتقال الايطاليين في الشوارع وسرقة أمتعتهم وأموالهم لا لشيء ألا لأنهم ايطاليين.[33]

لم تكتف الصحافة الايطالية بذكر حوادث السرقة والاعتداءات الجسدية بل أنها دخلت في منعطف خطير عندما بدأت هذه الصحف تتحدث عن قتل الليبيين للايطاليين

[32] Giornale Latribuna,Roma,3 giugno,1903
(33) Ibid.

على ان المنصفين يثبتون أن الأرض الليبية لم يقتل فيها ايطالي واحد أبدا قبل الاحتلال الايطالي على أساس إنه مواطن أيطالي.[34]

ان هذه الصحافة المسعورة الكاذبة كانت تهدد كل شخص يدعي عدم وجود حالات قتل ضد الايطاليين وتنعتهم بالخونة واللاوطنيين بل طالبوا بالثأر لأرواح أولئك الايطاليين الذين قتلوا في ليبيا وقد تعاطف المواطن الايطالي البسيط مع هذه الإحداث الكاذبة بصروة كبيرة لأنه لا يعرف الحقيقة فان تكذيب هكذا إخبار شبه مستحيل لان الأسماء مختلفة فكيف يتم إثبات عدم قتلهم.

ان الصحافة الايطالية كانت شرسة جدا في تعاملها مع كل من يدعي التعقل وعدم الذهاب الى الانتقام والغزو لمجرد ورود إحداث غير مؤكده عن القتل في ليبيا حيث وجهت الصحافة الايطالية سلسلة من المقالات ضد وزير الخارجية الايطالي لأنه تكلم بمنطق التروي والبحث عن الحقيقة في الإحداث فعدوه رجلا غير كفوء ومتخاذل بل انه حجر عثرة في طريق أحلام ايطاليا في تحويل الأرض الليبية إلى جنة الايطاليين على الأرض.[35]

الخاتمة

كانت الاكاذيب التي ساقتها الصحافة الايطالية لاحتلال ليبيا ذات اثر فعال في تكوين الرأي العام الايطالي المساند والمؤيد لاحتلال ليبيا، فهي لم تُبق ولم تستثنِ وسيلة كاذبة الا وسخرتها لهدفها الاستعماري المنشود وقد تحقق ذلك في جملة اكاذيب.

الاكذوبة الاولى التي نجحت الصحافة الايطالية فيها نجاحا باهرا كانت اكذوبة حب وترحيب الليبيين للايطاليين وقد حققت ذلك بطريقة نفسية وتاريخية واجتماعية، فقد اعطت صورة للمجتمع الايطالي بأن الليبيين يتبعون قادتهم الدينيين والروحيين ولا سيما شيوخ التكايا الصوفية وبذلك اخذت تقدم اكاذيبا عن علاقة وحب وتعلق هؤلاء الشيوخ ومن خلالهم كل الشعب الليبي لايطاليا وحبهم له.

وفي الاتجاه نفسه نجحت الصحافة الايطالية في تقديم صورة كاذبة عن حلم الليبيين بيوم الخلاص من الاتراك المستعمرين لارضهم وكيف ان هذا الحقد على الاتراك سوف يُترجم في الجانب الاخر الى حب وترحاب ومودة بالايطاليين، وبذلك كونت هذه

[34] Magazeno Lideanazonale,Roma,8 gingno,1911
[35] Magazeno Lideanazonale,Roma,10,agosto,1911

الصحافة لدى الشارع الايطالي ان الحملة الايطالية الاستعمارية على ليبيا ما هي الا حملة تحرير و خلاص وانقاذ للشعب الليبي.

في السياق نفسه نجحت الصحافة الايطالية في تقديم صورة كاذبة من ان الجيش الايطالي الذاهب الى ليبيا سيتحول بمجرد وصوله الى جيش ليبي لان الليبيين سينظوون تحت راية الجيش الايطالي لمقاتلة الاتراك و سيحتضنون الجيش الايطالي في بيوتهم لانه جيش التحرير والانقاذ.

اما الاكذوبة الثانية التي نجحت فيها الصحافة الايطالية في بلورت اتجاه الاحتلال في الشارع الايطالي كانت هي الرسائل الملفقة والكاذبة التي ادعت انها من قبل اناس متخصصين حاذقين وعلماء مرموقين زاروا ليبيا وتأكدوا على عظمتها وامكاناتها ومواردها وبذلك كانت هذه الاسانيد الكاذبة دعما معنويا لتوجهها الاستعماري فالشارع الايطالي يحترم اراء علمائه ومفكريه رغم ان بعض الاسماء التي وضعت لم تكن موجودة في الواقع ولكنها حملت القابا مثيرة ومبهرة للشارع الايطالي مما ادى الى خلق سند علمي مرموق لهذه الاكاذيب مما اثر على الشارع الايطالي تأثيرا كبيرا.

كانت الاكاذيب التاريخية محورا مهما جدا في تضليل الشارع الايطالي، اذ ادعت ان ليبيا ارض ايطالية فهي جزء من الحضارة الرومانية وضلت خاضعة لايطاليا حتى قرون قريبة لمملكة صقلية، اما السيطرة العثمانية فهي سيطرة طارئة مغتَصِبة حولت ليبيا الى ارض يباب بعد ان كانت جوهرة في زمن الرومان او في فترة خضوعها لحكم الايطاليين الصقليين وبهذا نجحت الصحافة الايطالية في اقناع الشارع الايطالي بان الحملة على ليبيا هو من اجل التاريخ وعودة الحق التاريخي لايطاليا ولليبيا معا.

في الجانب الاخر من التاريخ الا وهو الجانب المظلم السلبي استغلت الصحافة الايطالية شعور الهزيمة والانتكاسة في النفس الايطالية ولا سيما المرارة الايطالية في هزيمتهم في الحبشة في نهاية القرن التاسع عشر، لذلك استغلت هذه الصحافة هذه المرارة وهذه الانتكاسة كي تحولها الى مناسبة سنوية تذكر الايطاليين فيها بان سبب هذه المرارة وسبب هذه الانتكاسة هو عدم اتفاق الشعب الايطالي كله مع اهداف ايطاليا الاستعمارية لذلك علينا ان نمحو هذا العار في مساندة الحملة الى ليبيا وقبل ذاك مقاتلة كل الايطاليين الذين لا يؤمنون بالاحتلال وبذلك نجحت في خلق جو وطني نفسي يتجه نحو الاحتلال من اجل محو الماضي وبناء المستقبل.

في المحور ذاته كذبت الصافة الايطالية في امكانات ليبيا الاقتصادية من خلال المبالغة ببعض المعلومات التاريخية غير الدقيقة او تلك الاساطير التي تتحدث عن ان ليبيا حديقة العالم ومزرعة قمحه وحبوبه وبذلك نجحت هذه الصحافة في استغلال هذه المعلومات التاريخية غير الدقيقة في خلق صورة كاذبة عن الواقع الليبي ومستقبله الموعود.

ان تبادل لادوار الذي مارسته الصحف الايطالية كان جليا في الاكاذيب التاريخية فبعض الصحف تتحدث عن ان ليبيا اصبحت الان صحراء بسبب الاحتلال التركي لذلك علينا الذهاب الى ليبيا لاعادة اعمارها وصحف اخرى تتحدث عن عظمتها وخضارها ومواردها التي يجب ان نذهب اليها لاستخدامها لكن هذا التناقض كان يخدم الهدف الوحيد وهو خلق جو نفسي وايمان جماهيري في ضرورة واهمية وايجابية الذهاب الى ليبيا وان تناقضت المعلومات فهذا التناقض الظاهري يخدم صورة شمولية في الشارع الايطالي لان جزء من الشعب قد تأثر بهذه الصورة وجزء اخر تأثر بالصورة الاخرى وبذلك كان تبادل الادوار ذكيا وضروريا في خلق رأي عام ايطالي مساند للحرب لان هذا الرأي العام يمثل في اغلبيته بسطاء الناس وعامتهم اما المثقفون الحاذقون فهم قلة وقد تكفلت صحافة اخرى في معالجتهم في دور اخر لهذه الصحافة اما من خلال اقناعهم بافكار اخرى او الجامهم واخراسهم بالتهديد والوعيد، لذلك كانت الصحافة الايطالية تعالج الشارع الايطالي بطريقة شمولية ذكية.

نجحت الصحافة الايطالية في ترويج الاكاذيب التي تتحدث عن سهولة الحرب في ليبيا وكانها نزهة عسكرية بلا خسائر فتحدثت عن معنويات الاتراك المتدنية و ضعف الامكانات العسكرية التركية هناك حتى انها بالغت كثيرا في قدرة وحدة عسكرية ايطالية صغيرة من احتلال ليبيا لوحدها لعدم وجود العدد والعدة والمعنويات التركية هناك وصورتها بان قذيفة مدفع واحد ستجعل الاتراك اما يهربون او يستسلمون لان الليبيين سيكونون من خلفهم والايطاليين من امامهم.

اما قضية حماية المصالح الايطالية في ليبيا فهي اكذوبة اخرى استغلتها الصحافة الايطالية وهو نوع من تبادل الادوار بين الصحافة الايطالية وبذلك حفزت جزءا من الشارع الايطالي في ضرورة النخوة والاسراع في الانتقام من اؤلئك الذين اساءوا للايطاليين في ليبيا وكان لهذه الاكاذيب اثر فعال في نفوس الايطاليين البسطاء فتحركت فيهم النزعة القومية والروح القبلية في ضرورة الاسراع بل وجوب الاسراع الى ليبيا.

لقد نجحت الصحافة الايطالية نجاحا باهرا في اقناع الشارع الايطالي بضرورة احـــتلال ليبيا من خلال جملة من الاكاذيب الملفقة التي عالجت فيها محاور مهمـــة يعـــاني منهـــا الشارع الايطالي وبذلك وجهت كل الارهاصات والتطلعات نحو احتلال ليبيا.

المصادر

1. Giornale, Lastampa, Turinto, 1,giugno,1911
2. Giornale, Lastampa, Turinto, 11 giugno,1911
3. Giornale, Lastampa, Turinto, 31,maggio,1911
4. Giornale, d'Italia, Roma,28 agos,1911
5. Giornale, d'Italia, Roma,25,settembre,1911
6. Giornale La Regione,Roma,2,settembre,1911
7. Giornale La Regione,Roma,3,settembre,1911
8. Giornale ILcorriere della sera, Milano,17,sehembre,1911
9. Giornale ILcorriere della sera, Milano,22, settembre,1911
10. Giornale ILcorriere della sera, Milano,23,settembre,1911
11. Giornale ILcorriere della sera, Milano,24,settember, 1911
12. Giornale ILcorriere della sera, Milano,25,settembre,1911
13. Giornale ILcorriere della sera, Milano,27,settembre,1911
14. Giornale ILcorriere della sera, Milano,28,settembre,1911
15. Giornale ILcorriere della sera, Milano, 30,gennaio,1912
16. Giornale d'Sicilia, Plermo,24,settembre,1911
17. Giornale d'Sicilia, Plermo,27,settmbre,1911
18. Magazeno Lideanazonale,Roma,l,marzo,1011
19. Magazeno Lideanazonale,Roma,8,marzo,1911
20. Magazeno Lideanazonale,Roma,8 gingno,1911
21. Magazeno Lideanazonale,Roma,5, Aprile,1911
22. Magazeno Lideanazonale,Roma,10,agosto,1911
23. Magazeno Lideanazonale, Roma 21,settembre,1911
24. Giornale Il Mattino, Napoli,22,settembre,1911
25. Giornale Il Mattino, Napoli,25,settembre,1911
26. Giornale Latribuna,Roma,3 giugno,1903
27. Giornale, Grandi L' ltalia, Roma,17,settembre,1911